

المسؤولية المجتمعية وعلاقتها بالقيم الأخلاقية

Social responsibility and its relationships with moral values

الأستاذ الدكتور أبكر عبدالبنات آدم إبراهيم*

جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم- السودان

ملخص:

لقد أرسل الله تعالى الرسل والأنبياء لتنمية قدرات الإنسان الفطرية، حتى اكتملت فيه خصائص الإنسانية، فارتفع إلى مصاف الشخصية العاقلة التي يستطيع التمييز بين الحق والباطل. وجاء الإسلام لتأكيد حتمية بناء القيم السلوكية للإنسان من خلال التربية الرشيدة؛ ليقوم بمهمة الاستخلاف في الأرض. وهذا الإنسان العاقل هو أساس الأسرة الصالحة، والمجتمع الصالح، والأمة الصالحة. فالفرد المسلم في علاقاته الأسرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية مقيد بأحكام مقاصد الشريعة لأجل بناء قيم التغذية الروحية والمادية. استخدم الباحث المنهج الوصفي والتحليلي، للكشف عن القيم الأخلاقية التي تساعد في صون المجتمع من الانحراف والتطرف.

الكلمات المفتاحية: المسؤولية الاجتماعية- القيم- الأخلاق- التغذية الروحية.

Abstract

God sent the apostles and prophets to develop man's innate abilities, until the characteristics of humanity were fulfilled, rising to the rank of sane person who could distinguish between right and wrong. Islam came to emphasize the imperative of building the behavioral values of man through rational education, to carry

*البريد الإلكتروني: abaker2012@live.com

out the task of replacing the earth. This sane person is the foundation of a good family, a good society and a good nation. In its family, social, economic and political relationships, the Muslim individual is bound by the provisions of the purposes of sharia in order to build the values of spiritual and material nutrition. The researcher used the descriptive and analytical approach to reveal ethical values that help protect society from delinquency and extremism.

Keywords: Social responsibility- values - morality - spiritual nutrition.

مقدمة

إن خلق الله الإنسان من مادة وروح، وقدر له سبيل العيش ليسير في هذه الحياة وفق حكمته وإرادته، وأمده بالتوجيهات اللازمة للعناية المتكاملة بالجانبين المادي والروحي والتوازن بينها دون غلبة لجانب على آخر، وبذلك يحصل الإنسان على غذاء متوازن لمكوناته المادية والروحية. فالإنسان في هذه الحياة يعيش وفق قيم مُعَيَّنَةٍ يُطَبَّقُها أو يَسْعَى للوصول إليها، وهذه القيم نوعٌ من أنواع الغايات يكتسبها الإنسان لأجل تحقيق ضرورياته وحاجياته وتحسينياته، وهذا ما يُطلق عليه بالتغذية الروحية. فالإنسان كائن اجتماعي لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن الجماعة، وفي كل مرحلة من مراحل حياته يستطيع أن يكيف نفسه مع ذاته ومع الجماعة محققاً بذلك إشباع رغباته النفسية. فالمجتمع بكل محتوياته يمثل المحيط الذي ينشأ فيه الشخص اجتماعياً وثقافياً وفكرياً، وبذلك تتحقق التنشئة الاجتماعية السوية أياً كان نوعها من خلال نقل الموروثات الثقافية من المحيط الفردي إلى الجماعي، وبذلك تلعب القيم الدينية والاجتماعية دوراً كبيراً في تعديل وتغيير السلوك في إطار الأسرة الواحدة. فللقِيم بكافة أنواعها عدة معايير وملامح مميزة تجعل الإنسان أكثر توافقاً في بناء العلاقات الاجتماعية عندما يتعرض المجتمع للكوارث بأنواعها المختلفة، فالعائلة هي أول عالم اجتماعي يواجهه أفراد الأسرة فهم مرآة لكل طفل ينشأ لكي يرى نفسه في الحياة، وللقيم الدينية والاجتماعية أهمية عظمى في حياة الفرد حيث تُساهم في بناء وتكوين المجتمع.

تعريف القيم لغة واصطلاحاً:

القيم لغة: تُعرف بأنها جمعٌ لكلمة قيمة، وهي الشيء ذو المقدار، أو الثمن. فالقيم مُفردها قيمة، وترتبط لغوياً بمادة قَوْم، وتمتلك عدّة دلالات منها قيمة الشيء وثمرته، والثبات والدوام والاستقامة والاعتدال، ونظام الأمر وعِماده (ابن منظور، 1958م: 458).

أما اصطلاحاً: فهي جملة المقاصد التي يسعى الفرد إلى إحقاقها متى كان فيها صلاحهم عاجلاً أم آجلاً، أو إلى إزهاقها متى كان فيها فسادهم. كما عُرِفَتْ بأنها: "القواعد التي تقوم عليها الحياة الإنسانيّة، وتختلف عن الحياة الحيوانيّة، كما تختلف الحضارات بحسب تصوّرها لها" (الرازي، 1995م: 12). وقد وردت في القاموس التربويّ بأنّها صفات ذات أهميّة لاعتبارات نفسيّة أو اجتماعيّة، وهي بشكل عامّ موجهات للسلوك والعمل (ابن دريد، بدون تاريخ: 34). وتُعرّف أيضاً بأنها مجموعة الصفات الأخلاقية، التي يتميّز بها البشر، ويتمّ التعبير عنها باستخدام الأقوال والأفعال (ابن عربي، 1989م: 45). وتُعرف أيضاً بأنّها مجموعة من الأخلاق الفاضلة التي اعتمدت على التربية الإسلامية في توجيه السلوك البشري للقيام بكل عمل أو قول يدلّ على الخير (آبادي، بدون تاريخ: 87). وبصورة عامة فمصطلح القيم يستخدم في الكثير من مجالات الحياة المختلفة، أي أنها طبقاً لتفسيره من وجهة نظر علم الفلسفة، هي الغايات التي ينشدها الإنسان من خلال تحقيق أهداف الأمن والاستقرار في الحياة. أيضاً عُرِفَتْ بأنها: "هي مجموعة من الأحكام العقلية التي يقوم بها الإنسان نحو توجيه رغباته واتجاهاته" (عماد الدين، بدون تاريخ: 3). وتعتبر القيم السلوكية هي ذلك البناء الشخصي الذي ينشأ في داخل الإنسان؛ وفق تجارب حياتية مختلفة كالقواعد الحاكمة للشخصية والصفات الشخصية، والسلوك الروحي والمادي (عفيفي، 1998م: 123). وهنالك من يرى بأنها هي تلك العادات، والأخلاقيات والمبادئ التي نستخدمها من حين لآخر، ونمارسها في حياتنا اليومية سواء في ممارسة الشعائر العبادية أو التعبدية أو في المعاملات... وغيرها.

خصائص القيم الدينية

القيم الدينية الإسلامية تتميز عن غيرها من القيم في الأديان الأخرى في أنها تتكون من عدة خصائص والتي بمعرفتها يزداد المرء ثقة وقناعة بكون أن رسالة الإسلام رسالة عالمية، ولكافة الناس، ووسيلة لإسعادهم في الدارين الدنيا والآخرة. وفيما يلي أهم الخصائص:

* ربانية المصدر: إن الله عزّ وجلّ هو الذي وضع أصل هذا المصدر وحدد معالمه، قال تعالى: {تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ} (الواقعة: 80).

* الوسطية والاعتدال: أي الجمع بين الشيء ومقابله، بلا غلو ولا تفريط، فمن ذلك التوازن بين مطالب الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} (القصص: 77)، وقال تعالى: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا} (الإسراء: 29).

* الواقعية والعدلية: تتصف القيم الدينية بالواقعية، أي يمكن تطبيقها بدون تكليف، لأن الدين يسر وليس عسر، وكذلك لا تغرق في المثالية الجدلية والتي كثيراً ما تقعد بالناس عن أداء شعائرهم العبادية والتعبدية، قال تعالى: {لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} (البقرة: 286)، فالعدل على سبيل المثال قيمة إسلامية راسخة، وتحقيقه في الواقع لأجل مدافعة الظلم بقدر الاستطاعة، ولذلك كان رسول الله يقول: "إنما أنا بشر، وإنه يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض؛ فأحسب أنه صدق؛ فأقضي له بذلك! فمن قضيت له بحق مسلم؛ فإنما هي قطعة من نار! فليأخذها أو ليتركها" (رواه البخاري).

* العالمية والإنسانية: إن قيم التسليم لله رب العالمين التي تضمنتها رسائل الأنبياء والرسل كافة وختمها محمد صلى الله عليه وسلم؛ ليست للعرب والمسلمين فقط، وإنما هي رسالة للإنسانية جمعاء، وعالمية على سائر الأمم على هذه البسيطة، لقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (سبا: 28).

* الشمول والتكامل: لم تدع القيم الدينية جانباً من جوانب الحياة الإنسانية بجميع مجالاتها روحية كانت أو جسمية، دينية أو دنيوية، قلبية أو عاطفية، فردية أو جماعية إلا رسمت له

الطريق الأمثل للسلوك الرفيع فلفكر قيم، وللاعتقاد قيم، وللنفس قيم، وللسلوك الظاهر قيم، وللمجتمع قيم (المانع، بدون تاريخ: 156).

* الثبات والاستمرارية: تستمد القيم الدينية استمراريته من صلاحية مصادرها لكل زمان ومكان، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} (الأنبياء: 107)، ومن مظاهر الاستمرار في القيم الدينية تكرار حدوثها في سلوكيات الناس، قال صلى الله عليه وسلم: "لا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً" (رواه الإمام أحمد في مسنده: 345).

* الإيجابية: لا يكفي كون الإنسان صالحاً في نفسه بل من باب أولى أن يكون صالحاً ومصلحاً، وبه يستطيع أن يتفاعل مع المجتمع من حوله، وتأتي هذه الإيجابية بناءً على القيم الدينية التي تنطلق من ربانية المصدر، والتي من طبيعته لا يقبل النقص والزيادة (أبو شهبه، 2007م: 160). ولذلك يرى الكثيرون أن بناء القيم الدينية بواسطة التربية هي بمثابة تحريك الجانب الإيجابي الفطري في الإنسان، وتهذيب وتصقل الاتجاهات أو الجوانب السلبية لديه أو تحويلها إلى قوة موجبة تعمل على إعمار الأرض، أي أنها تعمل على غرس الأخلاق والسلوك القيم (الحديبي، 2010م: 17).

* التكيف والمرونة: تتكيف القيم الدينية في الإسلام مع مختلف الظروف والأحوال، لأنها قابلة للتحقق بمختلف الوسائل والأساليب الدعوية دون أن يؤثر ذلك في جوهرها، فالمرونة في تطبيق القانون يتحقق في المجتمع عبر مؤسسات تشريعية أو دينية في مختلف مظاهر الحياة العامة، وبشتى الوسائل والأساليب، قال تعالى: {وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى} (الأنعام: 152).

مستوى بناء القيم الدينية

يرى بعض علماء الانثربولوجيا والأجناس أن للقيم الدينية عدة مستويات، وأهمها المستوى الفردي والجماعي، ولكل سماتها وخصائصها، وهي على النحو التالي:

* القيم على المستوى الفردي:

1. تلعب دوراً مهماً في تشكيل صفات الشخصية الفردية وتحديد أهدافها في إطار معياري صحيح .

2. تعطي الفرد الثقة التامة في أداء واجبه، وكما يمتلك القدرة الكافية على التكيف والتوافق مع الواقع بصورة إيجابية.
3. تحقق للفرد الإحساس بالأمان في مواجهة التحديات التي تضعف من النوازع الدينية التي تساعد في بناء العلاقة بين الفرد وخالفه، وبينه وبين الآخرين في المحيط الاجتماعي.
4. تعطي للفرد فرصة للتعبير عن نفسه وتأكيد ذاته.
5. تدفع الفرد لتحسين مدركاته ونظراته للعالم من حوله، وتوسع إطاره المرجعي في فهم حياته وعلاقاته مع الجماعة. وهذا يشكل نوعاً من الإصلاح النفسي والخلقي.
6. تعمل على ضبط الفرد لشهواته كي لا تتغلب على عقله ووجدانه.

* القيم على المستوى الجماعي:

1. المحافظة على تماسك المجتمع، وبه تستطيع كل جماعة تحديد أهدافهم، ومثلهم العليا ومبادئهم الثابتة.
2. تساعد المجتمع على مواجهة التحديات والتهديدات التي تلازم الإنسان في حياته، كما تسهل ممارسة مطلوبات الحياة في إطار الوحدة المجتمعية.
3. تربط كل مكونات المجتمع مع بعضها البعض، حتى تبدو وكأنها عضواً واحداً إذا اشتكى منه عضو يشعر المجتمع بخطورة الموقف. كما أنها تعمل على إعطاء النظم الاجتماعية أساساً فكرياً وعقلياً، حتى تصبح عقيدة في ذهن كل عضو في المجتمع.
4. وقاية المجتمع من الأنانية المفرطة والجهوية والقبلية.
5. تزويد المجتمع بالقيم الدينية والسلوكية التي يمكن أن يتعامل بها مع المجتمعات الأخرى، وتحدد أهداف ومبررات التعامل. إذ أن لكل مجتمع نظامين يتحكمان في وجوده: نظام عسكري يحميه من الغزو المسلح من الخارج، ونظام قيمي يحميه من الاستلاب الثقافي والفكري والتغريب الاستعماري (الجسماني، 1997م: 28).

آليات بناء القيم السلوكية في المجتمع

توجد عدة آليات تؤثر في تنمية وبناء القيم السلوكية في كل مجتمع بشري، منها:

* التربية الرشيدة: تلعب التربية بأنوعها المختلفة دوراً كبيراً في تنمية القيم الدينية السلوكية عند الإنسان، وبها يقاس درجة تقدم أو تخلف الشعوب والأمم، وهنا يأتي دور العائلة في الرعاية والتربية والتوجيه في تشكل القيم الحسنة والفاضلة عند الناشئ، وذلك عن طريق إيلاء القيم الأخلاقية مكانة مهمة، والالتزام بالتعاليم الدينية التي تدعو إلى التقيد بكل قيمة تدل على الخير، والتخلي عن أي قيمة تدعو إلى إفشاء المنكر.

* التعليم: يعتبر التعليم العامل الأساسي الذي يساهم في ترسيخ القيم الدينية الفاضلة على المستوى الفردي والجماعي، وكثيراً ما تقاس درجة الوعي العام في المجتمع بالتعلم، ومن هنا يأتي دور المراحل التعليمية والدراسات الجامعية التي تُعطى للطلاب الفرصة إلى صقل شخصياتهم وفقاً للمناهج الدراسية التي توضع في كل مرحلة، مع مراعاة بنية المنهج ومحتواها، هذا بالإضافة إلى مفردات المواد التي تساعد الطلاب على اكتساب المهارات المعرفية والعلمية (إبراهيم، 1980م: 58). فالتعليم هو بمثابة وسيلة من الوسائل التي تُعرف الطلاب بالقيم التي تجعله مرشداً في المجتمع. هذا بالإضافة إلى مستوى التدريب والتأهيل للأساتذة وفق المناهج الدراسية، أيضاً التحديات والتهديدات الخارجية كالعولمة والإعلام، وتفشي ظاهرة الاستلاب الفكري والثقافي، والتغريب الاستعماري... وغيرها.

* البيئة المحيطة: عامل البيئة المحيطة بالمجتمع لا يقل تأثيرها عن باقي العوامل السابقة، وذلك لأنها تشكل جزءاً من المزاج العام في الفرد والجماعة، فالذين يسكنون المدن ليسوا كالذين يقطنون القرى والبادي، فالقيم الأخلاقية والسلوكية تختلف باختلاف المؤثرات البيئية، فالإنسان عادة ما يبدأ بالمعرفة في اكتساب القيم في مراحل طفولته، فالذين يبدأ مراحل نموهم في بيئة معافية هم أكثر حظاً من الآخرين الذين يتربون في بيئات شاقة أو جافة (صباحي، 1986م: 38).

وللقيم الدينية أثر كبير في حياة الإنسان، ولا يخلو أي مجتمع بشري من التحلى بها، ويمكن إجمالها في الآتي:

- تمتاز بأنها اللوحة الجمالية التي تزين طبائع البشرية على اختلاف أنماط حياتهم، ودرجة وعيهم المعرفي والعلمي والثقافي.

- تساهم في تغيير السلوك المجتمعي من السيء إلى الحسن. وكسب ثقة الآخرين ومحبّتهم.
- ترتبط القيم بالإرادة البشرية، والتي كثيراً ما تدفع الإنسان للالتزام بها.
- تعتبر القيم الدينية وخاصة الأخلاقية منها وسيلة من وسائل النهوض بالمجتمع البشري.
- تساعد على بناء شخصية قوية ناضجة ومُتماسكة صاحبة مبدأ ثابت.
- تساعد على اكتساب الفرد القدرة الفائقة على ضبط النفس على المستويين الداخلي والخارجي، والاحساس بالاستقرار والتوازن في الحياة الاجتماعية.
- حماية الفرد من الوقوع في الخطأ والانحراف، حيث تُشكّل القيم درعاً واقياً.
- إكساب الفرد القدرة على التأقلم مع الظروف البيئية والمجتمعية برضا وقناعة. وتشكيل نمط عامّ للمجتمع، وقانون يُراقب تحرّكاته.

تصنيف القيم

من أجل أن يؤدي كل فرد في المجتمع وظيفته بشكل سليم يجب أن يتقاسموا هذه القيم ويتوافقوا على رعايتها، لأنها هي التي ستوحدهم، وتجعل حركتهم الفردية والجماعية أسلم وأكثر فعالية، ولذلك من المعلوم أن أية قيمة يمكن أن تلعب دوراً كبيراً في حياة الإنسان إذا كان هنالك توافق بين الشعوب والجماعات في القيم ذات الأولوية في منظومتها القيمية، والتي ينبغي أن تكون أساساً لقوتها ووحدتها تشكل الهوية الثقافية لكل أمة (رشاد، 1999م: 123).

وقد تصنف القيم الدينية والسلوكية حسب المجال والاشتقاق الذي تُعنى به إلى عدّة أنواع، منها:

* القيم النظرية Theoretical values: وهي رغبة الفرد في التعلّم وسعيه نحو اكتساب القيم السلوكية، والبحث عن مصادرها، ويتّصف بقدرته على النقد والنظر للأمور بموضوعية، ومن الأمثلة على القيم النظرية الطّموح العلمي، والتّجريب والبحث العلمي، والتّسامح الفكري. (العولمة Globalization) اليوم تعتبر من أهم التحديات التي تواجه القيم الإنسانية اليوم. فلا بد لنا من استغلال هذا التحدي والاهتمام بالناحية الإيجابية حتى لا نترك

الآلة الإعلامية لمصلحة القوة العظمى وبقراءة أخرى يجب تحويل المحاولات العلمية والتجريبية لصالح الأمة الإسلامية مهما كان الأمر، مصداقاً لقوله تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} (الحديد: 25).

* القيم الحوارية Dialogues: وهي قيم إنسانية ثابتة لا تتغير باختلاف الظروف والأحوال زمانية أو مكانية وتقوم عملية الحوار حول المتفق عليها لتأكيد أهميتها وغاياتها على حياة الإنسان، وإيلاء الاهتمام حول المختلف فيها لبناء قواسم مشتركة يمكن أن تسهم في التعايش والتسامح بين الأطراف، وهنا يجب أن يدخل الطرفان بروح إحقاق الحق وإبطال الباطل، وأن تكون أطراف الحوار بمستوى عالٍ من المعرفة بالموضوع، كما يجب أن تكون آليات الحوار واضحة، وعلى المحاور أن يتحلى بروح الصبر والمثابرة وروح احترام الآخر، والتخلص من رواسب الماضي، وأن يتم في جو حر بعيد عن الضغط والعنف والتحايل والضوضاء والتهويل. وغير ذلك من مقتضيات الحوار السليم.

* القيم العدلية Legal values: مهما اختلفت الآراء وتنوعت المذاهب فإنه تبقى هناك مساحات لا يختلف عليها اثنان، أن لكل شخص في هذه الحياة حقوق وواجبات، لذلك يجب إعطاء كل ذي الحق حقه، ويعتبر رد الحقوق قيمة أخلاقية وأن سلب الحقوق نوعٌ من الظلم، وهنا يجب إذن اكتشاف هذه المساحات والسعي لتعميمها وتعميم الالتزام بها من خلال الآتي:

1. الاتفاق على الحقوق الأساسية للإنسان، والسعي لتوسعة هذا الاتفاق ليشمل الحقوق التفصيلية الأخرى الذي يجعل كل فرد يشعر بأنه جزء من المجتمع، وهو من موجبات الأمور إذا حسنت النوايا؛ وهذا ما يعمق الوجدان الانفعالي للإنسان وبالتالي يظهر ممارسة السلوك اليومي في شكل عادات وتقاليد.

2. الاتفاق على حدود الحرية والديموقراطية للإنسان، ومحاولة ترجمتها إلى معالم واضحة وتطبيقات عملية تساعد المجتمع في النمو والتطور.

3. تأكيد القيم الإنسانية بعيداً عن الأيديولوجيات الهدامة: كالارهاب والعنصرية والاستبداد والتفرقة العنصرية والاستعمار... وغير ذلك.

6. وضع مبادئ سلامة البيئة وتعميمها على المجتمع، لأن في صلاح قيم البيئة صلاح للمجتمع.

8. الاتفاق على أهمية بناء القيم الاجتماعية، ومعرفة مقومات كل مجتمع في التعاطي مع هذه القيم.

9. وضع خطة استراتيجية صارمة لبناء القيم، والتخلص من تحديات الصراع الايدولوجي والجهوي والقبلي، هذا بالإضافة إلى التخلص من الأمراض النفسية التي لا يمكن علاجها إلا ببناء القيم الدينية (كالفقر والجهل والأمية، والتخطيط لتقليل آثار الكوارث الطبيعية كالزلازل والسيول والحرائق... وغيرها).

10. تنظيم حقوق الملكية الفكرية، وبناء المؤسسات الدولية العاملة بمقاييس متعادلة بعيداً عن الازدواجية والتفرقة، والوصول إلى آليات عملية تعزز قيم التضامن والتعاون، وتعمم المسؤولية الذاتية والجماعية تجاه العدالة في نشر ثقافة السلم والسلام الدوليين.

* القيم العقائدية Ideological values: للعقيدة الإسلامية منهج متميز في إثبات حقيقته، وبيان خصائصه وأهدافه، وهو المنهج القرآني والنبوي الشريف الذي جاء به الأنبياء والرسل عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم، حيث يقف العقل الإنساني فيه عند حد التصديق والإذعان بوجود الله عزّ وجلّ، والإيمان بكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره، فهم يتلقون تلك التعليمات الإلهية من المولى عزّ وجلّ من خلال الأدلة القطعية التي تؤكد حقيقة وجوده سبحانه وتعالى. وقد تتنوع القيم العقائدية على النحو التالي:

1. القيم الروحية Spirituality: وهي الضوابط والمعايير تقوم بها تصورات الفرد وتصرفاته، التي تستند إلى عالم الغيب وعالم الشهادة، والذي فيه غذاؤها واستقرارها... فالمخاطب في الإنسان هو باطنه المعبر عنه بالقلب والنفس، قوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} (الرعد: 28)، وقوله صلى الله عليه وسلم: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب" والنفس، كما في قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَّمَ مَا تَوْسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} (ق: 16)، وقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفاسهم ما لم تعمل أو تتكلم". أيضاً تستند قوة القيمة الروحية في الاسلام

إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة باعتبارهما أساس مقاصد التشريع الإسلامي، ومنهاج حياة المسلمين في جميع شؤون حياتهم الخاصة والعامة. وقد تتنوع مجالات التدريب على اكتساب القيم الروحية من خلال ممارسة الشعائر العبادية والتعبدية المختلفة كالفرائض والنوافل وفضائل الأعمال، لذلك أرشدنا القرآن الكريم والسنة النبوية إلى تزكية النفس بالتحلية والتخلية.

2. القيم الاقتصادية Economic values: القيم الاقتصادية لا تقل أهمية عن القيم الأخرى، لأنها تمثل المورد الدائم عن الإنتاج والإنتاجية، فالاهتمام بالاقتصاد يجعل الإنسان أكثر قرباً بأمواله وثرواته لله سبحانه وتعالى بالصدقات، قال تعالى: {لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا} (الطلاق:7)، وقال صلى الله عليه وسلم: "ما نقص مال من صدقة".

3. القيم الجمالية Aesthetic values: تعتبر القيم الجمالية من القيم التي تتحكم في الذوق العام للإنسان، ويرتبط هذه العملية بالبيئة المجتمعية، هذا إلى جانب خلق الإنسان الذي خلقه الله سبحانه وتعالى في أحسن صورة، وفي أحسن تقويم، لقوله تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} (التين:4)، كما جعل له عينين ولساناً وشففتين، لقوله تعالى: {أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} (البلد:8-10)، فالذين يعيشون في المدن يختلف ذوقهم العام عما هم في القرية من حيث الطبيعة، وهذه سنة الله في خلقه، قال تعالى: {سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} (الأحزاب:62).

أساليب اكتساب القيم السلوكية

هنالك عدة أساليب لاكتساب القيم الدينية والسلوكية وترسيخها في الذات الإنسانية على المستويين الفردي والجماعي، ومنها:

* الإقناع وإقامة الحجة: إن توظيف الأدلة والبراهين والأحكام الشرعية من أهم الوسائل لاكتساب القيم الدينية من خلال الحوار أو في المجادلة بالتالي أحسن، لقوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} (النحل:125).

* التدرج في التربية والإعداد: أنزل الله تعالى القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عندما خرجت الجزيرة العربية عن جادة الصواب، وكثيراً ما ابتليت الإنسانية في معتقداتها وعاداتها وتشريعاتها، ولذلك كان من العسير ردهم إلى طريق الصواب دفعة واحدة ففضت حكمة المولى عز وجل أن يكون التنزيل القرآني منجماً ومؤمناً لهذه الغاية، ومحققاً لهدف اليسر ودفع المشقة عن المؤمنين، فجاءت آيات الأحكام تحلل الطيبات وتحرم المحرمات، ودعت إلى الالتزام بالشعائر العبادية والتعبدية.

* احترام القوانين: إن احترام القانون يكفل للإنسان أن يتحلى بقيم ايجابية، لذلك جعلت القيم جزءاً من تشريعات وقوانين الدول، لقوله تعالى: { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ } (الشورى: 13).

* الاهتمام بالمؤسسات الدينية: تسعى المؤسسات الدينية إلى حفظ الكليات الخمسة في مقاصد التشريع الاسلامي، لأنه يشكل بُعداً ذا أثر كبير على انتشار القيم وتطبيقها. كما يعبر عن اهتمام الفرد وميله إلى معرفة ما وراء العالم الظاهري، فهو يرغب نفسه في معرفة أصله ومصيره.

* امتلاك نزعة التدين: تلعب المعتقدات الدينية دوراً متعاضداً في تقويم سلوك الفرد في كافة الجوانب السيكولوجية والفيسولوجية التي ترتبط بالمسؤولية الاجتماعية والانتماء الديني والالتزام الأخلاقي، فالتقوى التلقائي هو الذي يدل على قوى الناحية الروحية. فالدين كمؤسسة اجتماعية لا تستغنى عنها أية جماعة بشرية مهما كانت بدائية أو متحضرة. وقد دلت بعض الدراسات الأثرية على أن البشر في أدوار ما قبل التاريخ كانوا متأثرين بفكرة التدين إلى أن جاءت الرسائل السماوية فأصبح الدين من أكبر المؤسسات التي لا تضاهي قوتها كل المؤسسات الاجتماعية الأخرى، ومن هنا تتنوع متطلبات الإنسان الضرورية والحاجية والتحسينية. ويرى (ماكس مولر): "إن النزعة الدينية عند البشرية هي إحساس أصيل نجده عند المتمدنين الذين يمثلون أعلى الناس تفكيراً وأعظمهم حدساً، وستبقى الديانات ما بقيت الإنسانية، وستطور بتطورها، وتتجاوب مع درجة الثقافة التي تبلغها الجماعة" (عبدالله دراز 1992م: 89).

مكونات القيم السلوكية

تتكوّن القيم السلوكية من عدة مكونات، أهمها:

* المكوّن المعرفي Cognitive component: وهو عبارة عن اختيار قيمة مُعيّنة بين مجموعة من البدائل، ومقارنتها بغيرها، والنّظر في نتائج اختيارها، وتحمل مسؤولية الاختيار. ويتألف المكون المعرفي من مجموعة المعتقدات والمعارف التي تم اكتسابها خلال تكوين الاتجاهات النفسية، والتي تساعد الفرد على الاستجابة أثناء الفترة التقويمية. فكل فرد في حياته يحاول دائماً إظهار التوازن في التعبير عن حالة التناقض، أو التنافر المعرفي (الحديبي، 2010م: 87).

* المكوّن الوجداني The emotional component: يتألف المكون الوجداني من أنماط المشاعر والانفعالات، التي يثيرها الشخص من خلال الشعور بالارتياح أو عدمه، أو الإحساس بالحب أو الكراهية، أو الحزن بالتأكيد أو الرفض بالاختيار. وتشير حدة الاتجاه دائماً إلى قوة العنصر الوجداني، أو إلى درجة القبول أو الرفض. فالمكون الوجداني يرتبط بمكونات أخرى تسمى بالعلاقات المترابطة وهنا قد يمتلك الفرد معلومات حول مهنة التدريس، لكنه لا يشعر بمشاعر إيجابية نحوها، بينما هناك شخص آخر، لا يمتلك معارف ومعلومات كافية عن مهنة التدريس لكنه يقدر المهنة، ويشعر نحو المتعلمين بمشاعر الاحترام والتقدير، وهذا ما يسمى (عنصر وجداني Emotional component) تؤدي به إلى اتخاذ قرار سلوكي يتواءم مع المشاعر والانفعالات النفسية. فالعبرة هنا في تحديد الاتجاه نحو المهنة ليس بمدى توفر المعلومات.

* المكوّن السلوكي Behavioral component: وهو الذي يُحدّد طريقة الممارسة والتّجربة، ويظهر ذلك من خلال الممارسة اليومية لمطلوبات الحياة المختلفة، ويتكون من محورين، هما: المقاصد السلوكية Behavioral Purposes، والسلوك الفعلي Actual behavior.

القيم الاجتماعيّة

يرى كثير من علماء النفس أن القيم الاجتماعية هي بمثابة معايير، وأسس متعارف عليها ضمن المجتمع الواحد، وتُشير إلى طرق تعامل الأفراد مع بعضهم البعض على ضوء

الموافقة مع الفطرة الطبيعية، ورفض غير المقبول من القيم. ويظهر ذلك من خلال رغبة الإنسان بتقديم العون للآخرين، وتفاعله مع الوسط المحيط به لإدخال السرور على أنفسهم، ومن الأمثلة على هذه القيم العطف، والحنان والإيثار والمودة. وذهب آخرون إلى أنها جملة من الخصائص أو الصفات المرغوب فيها، والتي تحدد لها الهوية الثقافية القائمة على التسامح والتآلف (Martin, 1988:65). بل هي أداة اجتماعية للحفاظ على النظام الاجتماعي والاستقرار بالمجتمع أو توجيه سلوكهم. كما تعدّ القيم من أهم الركائز التي تلبي حاجة المجتمعات، وتقام عليها الأمم، وهي تتعلق بالأخلاق والمبادئ التي هي معايير عامّة تعمل على ضبط السلوك البشري. والذي يحدد وجود هذه القيم هو الإطار التربوي العام في كل المجتمع، ومدى الوعي الذي وصلت إليه البشرية في تعاملهم مع بعضهم البعض، نذكر منها:

- الصدق، حيث يظهر الصدق كقيمة في التعامل اليومي في المجتمع، ابتداء من الأسرة، وانتهاءً بالمجتمع فالدولة.

- الإيثار، وهو قيمة متقدمة في السلوك، ويعبر عن تخلي الإنسان عما يحبه لصالح غيره.

- الكرم والسخاء.

- الحياء، وهي من الضوابط المهمة للسلوك البشري.

- البذل والتضحية، وذلك بجعل اهتمامات الفرد الخاصة لصالح المجتمع عامة.

- التعاون والتعاقد، يعتبر من أهم مقومات وركائز التواصل البشري، وهي صفة يجب أن تتوفر عند كل فرد أو جماعة في المجتمع.

- التكافل الاجتماعي، وفيه يكمل بناء المجتمع في شتى جوانب الحياة، ممّا يقلل ويقلص من مكامن الفقر والفاقة في المجتمع.

- تفجير كل الطاقات نحو الاتجاه العلمي والعقلي والروحي.

- تنمية القيم الأخلاقية بالكرم والحلم والرحمة واللطف بالهداية والنزاهة بالإيمان.

- التحلي بمكارم الأخلاق التي يستطيع من خلالها الإنسان تحقيق غاية وجوده.

أهمية القيم الاجتماعية

جاءت الرسائل السماوية لتحقيق غاية تكامل الإنسان ورقّيه في المجتمع على جميع المستويات الماديّة والروحية والجسدية، ليصل إلى مستوى الخلافة في الأرض، ويعمرها بالفضائل والمعاني النبيلة والسامية. ان الشريعة الإسلامية تمتاز عن غيرها من الشرائع الأخرى بشمولها وعمومها بل حوت كلّ ما جاءت به الشرائع الأخرى السابقة من تعاليم دينية وقيم أخلاقية وأحكام شرعية متكاملة الأبعاد رسمت للإنسان منهجاً شاملاً جمع كل تفاصيل حياته وعلاقاته بما حوله من الموجودات (Smith, 2011: 34).

من هنا يتّضح لنا أنّ القيم الاجتماعية نعني بها جميع محاميد الأخلاق من الأقوال والأفعال التي يجب أن تقوم على أصول وقواعد وفضائل وآداب مرتبطة إرتباطاً وثيقاً بالعقيدة الإسلامية. فالقيم الاجتماعية ليست جزءاً من الدين فقط بل هي جوهره وروحه، ولعلّ هذا المعنى هو المقصود بالحديث المعروف المروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم: "إنّما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق". فالشريعة بكلّ تفاصيلها الغرض منها سموّ الإنسان ورقّيه، ووصوله إلى درجة المحسن الذي يكمل له معاني السعادة في الدار الدنيا والأخرة (شلبي، 1997م: 22). فالصبر والتواضع وما إلى ذلك من القيم الاجتماعية التي ترتبط بنفس الإنسان في شخصيته، وتنعكس آثارها في ذاته، فإن كانت قيمة نبيلة كالكرم وحسن الخلق يُسعد بها، أما إن كانت ذميمة كالبخل والحقد والحسد فتكون قيمة سيئة. فالعلاقات والروابط الاجتماعيّة كثيراً ما تؤدي إلى تماسك المجتمع، وبث روح الثقة والطمأنينة والتآخي والتآزر والتكاتف وغيابها يؤدي إلى تفكك المجتمع. لذلك تُعدّ القيم الاجتماعيّة من أقوى ما تبنى به المجتمعات، ومن أهم الروابط التي تربط بين أفراد المجتمع، ففيها تنتشر المحبة بين الأفراد والمجتمعات، وتعم الأخوة بينهم، ويقوى التماسك والترابط بينهم، وكذلك هي الضمانة لاستقرار المجتمع وازدهاره، فالأمم التي انهارت كانت بداية انهيارها بانهيار القيم والأخلاق؛ فلا يمكن فصل القيم عن الأخلاق، فهي تشترك معاً في تحديد وضبط السلوك البشري.

سبل بناء وتعزيز القيم الاجتماعية

*** التنشئة الأسرية السوية Family upbringing normal:** جاء الإسلام فوضع قواعدَ وأسسَ لتنظيم وتكوين الأسرة، لما للأسرة من مكانة عظيمة تساعد في بناء المجتمع، وفي تكوين الأمة، فالتعاليم الإسلامية وضعت قيماً اجتماعية لحل المشكلات التي تعترض بناء الأسرة، وهذا ما لا يوجد في أي قانون من القوانين الوضعية والمستحدثة، بل لا توجد حتى في الأديان الإلهية الأخرى كاليهودية والنصرانية، والأديان التقليدية، لأن الإسلام دين شامل شمول الزمان والمكان يهذب للبشرية سبلها ويعبد لها طرقها في كل ميادين الحياة المختلفة، لذا كان من البديهي أن يكون له قصبُ السبق في الحديث عن الأسرة وتكوينها ودعائمه، والأسس التي ينبغي أن تقوم عليها. لهذا فإن اهتمام الإسلام بهذا الجانب كان سبباً رئيسياً في نهضة المسلمين واجتيازهم لأصعب التحديات التي واجهتهم في تاريخهم العريق، وهذا ما وصل إليه المبشرون والمستشرقون بعد دراسة متأنية لتاريخ المسلمين وأسباب نهضتهم (شلتوت، 1998م: 19). لذلك بذلوا جهوداً مضيئةً لتحية المسلمين عن الجانب الأسري، فسعوا إلى تحويله من هدف عقدي ديني، إلى جانب دنيوي. ولكي يعود المجتمع المسلم إلى هويته الإسلامية وذاتيته الدينية، لابد من البدء ببناء الأسرة التي هي مكون من مكونات المجتمع. وقد أجمع المصلحون والمربون أن داء الأمة الإسلامية اليوم يكمن في غياب القيم الأخلاقية والاجتماعية، وانزلاق الكثيرون إلى التشبه بالمجتمعات الغربية. وعلى ذات النسق يتسع نطاق التنشئة الاجتماعية بدءاً من آداب تكوين الأسرة إلى الاتجاهات الدينية إلى تحقق معاني الاقتصاد والادخار وأساليبه، وكيفية التعامل مع الأب والأم والإخوة، إلى المجتمع من الأقارب والمعلمين والأصدقاء. وتتعدد عناصر التنشئة الاجتماعية وتتفاوت في بساطتها وتعقيدها، فالطفل يتعلم معظم التدريبات والآمال والمعاني دون أن يشعر بذلك شعوراً واضحاً، فقد يكتسب من الرفاق بعض الأساليب الاجتماعية وبعض معايير النجاح، فعملية التطبيع الاجتماعي تختلف من حيث بساطتها وتعقيدها من مجتمع إلى آخر، فكل مجتمع تختلف قابلية نموه التاريخي وأنماطه الثقافية العامة ومشكلاته وحاجاته، ففي المجتمعات البسيطة تتحكم التقاليد والعادات في عملية التطبيع الاجتماعي، أما في المجتمعات الغربية فإن عملية تكوين الأسرة أكثر تعقيداً، فلا تقتصر على تقليد الأبناء بقدر ما تكون متعارضة مع عادات وتقاليد كل مجتمع.

* توجيه وضبط الخطاب الإعلامي Directing and controlling media

discourse: إن الإعلام بمستوياته المختلفة هو جزء من العملية الاتصالية التي تهتم بالذات الإنسانية منذ قديم الزمان، وقد استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم الإعلام كمحور من محاور الاتصال اليومي مع أصحابه في شتى ضروب الحياة امتثالاً لقوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} (النحل: 125). فالحوار والمجادلة بالتي هي أحسن هو أحد المقومات الأساسية التي قامت عليها عملية نشر الدعوة الإسلامية، لذلك يختلف أسلوب القرآن الكريم في مخاطبة العقل والحوار عن أساليب السحرة والكهنة الذين يخاطبون الوجدان والعواطف استناداً على أفعال آلهتهم وأصنامهم. وقد استمر بناء العلاقات الإنسانية على المحورين الشخصي والجماهيري بفضل التأثير الإعلامي الذي قام على مبدأ الأمانة والتحلي بالقيم الأخلاقية الفاضلة التي تعكس نفسية الداعي والمدعو في أمر الدعوة، قال تعالى: {لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ} (الرعد: 11). فالإنسان كغيره من الكائنات الحية له مطالب وحاجات أساسية لا يمكن تحقيقها إلا عن طريق التفاعل مع الآخرين بواسطة بث رسائل واقعية أو خيالية موحدة. فالناس يختلفون فيما بينهم في كافة مناحي الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية والثقافية... وغيرها (عبدالكريم، 2001م: 30). فلا مفر من الاعتماد على القيم التربوية في بناء الشخصية الإنسانية، فالمسلم في مجتمعه يحتاج أن يتألف أفراد من المؤمنين والمحسنين لا من المتفوقين على أنفسهم، والمستغرقين في ذواتهم، لأن الغاية من الوجود هي عبادة المولى عز وجل، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} (الذاريات: 56-58)، وبهذا حدد الإسلام أن بناء العلاقات بين أفراد المجتمع يرسى قواعد تربوية تؤدي إلى توفر الأمن والاستقرار والطمأنينة في المجتمع. أما التفكك على مستوى الأنفس فهو حالة طارئة تظهر عندما يغيب الإرشاد والتوجيه السليم، وينعكس ذلك على كل أجهزة التنظيم الاجتماعي، وغالباً ما يوصف بالإهمال والتحلل، حيث يصبح المجتمع يضم أشتاتاً من الناس لا تجمعهم وحدة أسرية أو مجتمعية فاعلة، ولا ينتظم عقدهم تحت مكون سلوني واحد، وعلى ذلك فإن

كل الأمراض والنواقص النفسية تنحدر على المجتمع، ومن هذا الانحلال تصاب الإنسان بالعوائق التربوية غير الرشيدة، وتنتهي بخنق المجتمع وامتصاص طاقاته، ووقف تطلعاته نحو الأفضل (الجسماني، 1996م: 48).

استراتيجية تعديل السلوك

يسعى الإنسان في حياته للوصول إلى الكمال المطلق، فالسلوك هو عملية تقوية القيم من ناحية، وإضعاف أو إزالة القيم السيئة من ناحية أخرى. ولتعديل السلوك لابد من التمسك بالمقاصد والتشريعات الإلهية، والتعامل مع الظروف البيئية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والثقافية بعقلانية. وهذا يحتاج إلى خطط استراتيجية في الأساليب والمناهج التربوية، وذلك على النحو التالي:

* تربية جسمية: تشتمل التربية الجسمية أو البدنية على الحماية والتنمية والتغذية وهي من أهم الأساليب التي تساعد الإنسان في المحافظة على نفسه من الأمراض وأسبابها وعللها، ولا يمكن تحقيق تلك الغاية إلا بتكوين الوعي الصحي، والالتزام بالقيم الأخلاقية والسلوكية الفاضلة، والاعتدال في أعمال العبادة، وعدم الإفراط والتفريط في الواجبات (يالجن، 1986م: 55).

* تربية عقلية: تعتمد التربية العقلية بتقديم مستوى معين من المعلومات، فالبداية يجب تحديد مجال النظر العقلي لكل مرحلة من مراحل النمو المختلفة، وبها يستطيع الإنسان أن يصون طاقته العقلية، وبالتالي يكسب ثقافة حسن التصرف في الأمور سواء الضرورية والحاجية والتحسينية، فيلبي رغباته وفق ضوابط شرعية، ويوكل أمر ذلك إلى الروح المزودة بوسائل الوصول إلى الله تعالى (الشاطبي، بدون تاريخ: ج 1 ص 236).

* التحلي بالأخلاق الحسنة: إن التحلي بالأخلاق الحسنة له من الأجر الكبير والثواب الجزيل؛ قال الله تعالى: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (العمران: 133، 134). وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسول

الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن المؤمن ليُدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم" (أبو داود، 1414هـ: ج 4: 270). وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله

عليه وسلم قال: " ما من شيء أثقل في الميزان من حُسن الخُلُق". فالتربية الإسلامية تُربي الفرد المؤمن على حسن الخلق وأن يتعامل مع الآخرين بالأخلاق الحسنة؛ برّهم وفاجرهم ومؤمنهم وكافرهم.

* رفع درجات التقرب إلى الله تعالى: هذا الهدف جاء صريحاً في القرآن الكريم في آيات فرضية الصيام: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة: 183)، فالعبد يزيد تقواه عند ممارسة الالتزام بالشرع الإلهي، فالتقوى هي أمانة الإيمان والعمل الصالح، فالدال على الخير كفاحه، فكلما زاد الإنسان عبادة زادت تقواه، وكلما ضعفت ضعف تقواه، والله لا ينال من عبادات العابدين، وإقبال الساعين إليه إلا التقوى.

* تكيف قوانين البيت مع الواقع التربوي: يعتبر البيت هو المحطة الأولى التي بها يستطيع كل ناشئ أن يكتب بصماته الأولى في إطار التربية الصحيحة، لأن فيه من القوانين الذي لا يستطيع كل أفراد العائلة تجاوزها، وحتى لا يظن الطفل أنه يعيش رعاية جبرية يجب أن يشارك جميع أفراد الأسرة في وضعها، مما يضيف على الجميع الاحترام والتقدير. فالأسرة هي الوحدة الاجتماعية التي تهدف إلى المحافظة على النوع الإنساني، وهي التي تساهم بشكل أساسي في تشكيل القيم السلوكية من خلال التفاعل بين أفرادها، مصداقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " كل مولود يولد على الفطرة... " لذلك فهي الخلية الأولى والمؤثرة في التنشئة الاجتماعية.

* بناء القيم الدينية والمعرفية: تمثل القيم الدينية في الإيمان بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره، والتأمل في قدرة الله العظيمة، والترغيب في العبادة، ويختلف تناول هذه القيم باختلاف المجتمعات وطبيعة تواصلها مع الدين ونظرتها إلى الكون والحياة. ولعل الفكرة الأولى التي يدعو إليها الدين الحنيف هي فكرة التوحيد، والطفل بحكم انتمائه الاجتماعي يتوصل إلى هذه الفكرة لتردد إحساسه الفطري بذلك.

* التعاقد السلوكي: وهو عقد شراكة تعاون بين الوالدين والأطفال ليتحمل بعد ذلك كل طرف مسؤوليته سواء في السلوك أو في أداء الواجبات، حتى يتسنى لكل طرف اتخاذ القرار بنفسه. فالأسرة هي الخلية الأولى للبناء الاجتماعي، وأنها ليست عملاً فردياً بل تشكل الإطار العام

الذي يحدد تصرفات كل فرد من أفرادها. كما أنها مصدر تحقيق غرائز الإنسان ودوافعه الطبيعية والاجتماعية (الشرقاوي 1982م: 77).

* القدوة الحسنة: على أولياء الأمور الاهتمام بالتربية الرشيدة والمقيدة وفق مقاصد التشريع الإسلامي. وهنا تأتي دور الأخوة التي تشكل رابطة قوية في علاقاتهم مع بعضهم البعض، حيث تورث الشعور العميق بالعاطفة والمحبة والاحترام... فهذا الشعور الأخوي الصادق يولد في نفس الطفل أصدق العواطف النبيلة في اتخاذ مواقف إيجابية من التعاون والإيثار والرحمة والعفو عند المقدرة، قال عليه الصلاة والسلام: "مثل المؤمنين في توادهم وتعارفهم وتراحمهم، كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" (مسلم، 1400هـ: 3218).

*الإيثار: خلق نبيل يترتب على تفضيل الإنسان عن سائر المخلوقات، ويقصد به وجه الله تعالى، وصدق في الإيمان وصفاء السريرة وطهارة النفس، لأنه دعامة من دعائم التكامل الاجتماعي على المستوى الجمعي والجماعي، لقوله تعالى: { وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ } (البقرة: 237).

القيم الدينية والاجتماعية وبناء الشخصية

الشخصية: هي ذلك المفهوم الذي يصف الفرد من حيث هو موحد، ومن حيث الأساليب السلوكية والإدراكية المعقدة التنظيم، والتي تميزه عن غيره من الناس في المواقف الاجتماعية والثقافية (عماد الدين، 1998م: 153). وقد ترتبط الشخصية بسمات متنوعة ومتعددة لها علاقة وثيقة بالدين منها:

1- البعد الاجتماعي: يتكون البعد الاجتماعي من مختلف التأثيرات الناتجة عن المعتقدات الدينية التي يتلقاها الشخص من خلال التعلم أثناء مرحلة الطفولة، ومن خلال تلك العادات يتفاعل الإنسان مع مكوناته الثقافية. لذلك لا يمكن أن تنمو اتجاهات الفرد دون أن يكون له بعد اجتماعي لأن للبيئة مؤثراتها الاجتماعية والثقافية.

2- البعد العاطفي أو الانفعالي: لا شك أن العاطفة أو الانفعال أحد العوامل التي تساهم في بناء الشخصية السوية عند اتحادها بالعنصر الديني، وهو نسق من الخيارات التي يمتلكها الفرد الذي له صلة وثيقة بالقاعدة الإيمانية. ويمكن أن تكون تلك الخيارات

متشابهة نتيجة تشابه الظروف والأحوال البيئية، وقد تختلف عندما تختلف درجة الوعي والالتزام الديني، فهناك من الأشخاص من يعتقدون أن لهم حرية الإرادة في التعامل مع العبادات، بينما يرى آخرون أنهم لا يملكون قوة الإرادة.

3- البعد الفكري: الدين هو نتاج عمليات فكرية ومجموعة من الأعمال والمعتقدات، التي تصدر من أشخاص لهم علاقة وثيقة بالله عز وجل. فرغم تأثير العوامل البيئية والاجتماعية والانفعالات النفسية، إلا أن البعد الفكري يلعب دوراً كبيراً في تكوين الشخصية التي تمتاز بالعقلانية. وهناك عدة سمات للشخصية المؤمنة منها: العبودية لله عز وجل، واتقاء محارمه والاهتداء إلى الحق، والعمل بالشرعية، وبلوغ درجة الإحسان. وقد يتفاوت الأشخاص في هذه السمات فمنهم من يكون مسلماً غير مؤمن، وقد يكون مؤمناً ولكنه ليس من أهل التقوى، وقد يكون من أهل التقوى بيد أنه لم يبلغ درجة الإحسان.

مآلات تراجع القيم الدينية

- ضعف الوازع الديني عند الأفراد والجماعات، وغلبة المصالح الفرديّة على المصالح العامّة.
- التأثير بالعولمة وتكنولوجيا الاتصال والتواصل الاجتماعي، حيث يتم ضخ العديد من القيم السلبية عبرها دون أن تكون هناك رقابة على كافة المستويات الاتصالية، المسموعة والمرئية والمقروءة.
- انعدام الوعي المعرفي والعلمي بجدوى القيم الأخلاقية في الحياة العامة.
- اللعب واللهو واتّباع الهوى والشهوات.
- الصحبة السيئة، وبها يتأثر الصديق بسجايا صديقه وطبائعه.

خاتمة

أكدت الدراسة ان التحديات التي تواجه الأمة المسلمة اليوم من حيث العمق والجوهر والهدف والبُعد الاستراتيجي هي عملية تراكمية للعديد من المخالفات التي ارتكبها الإنسان نتيجة للعجز والتواكل، أو الجهل بأهمية بناء القيم الدينية والاجتماعية في المجتمعات البشرية، أو الاستخفاف بأحقية الآخرين في التمتع بالمظاهر الطبيعية. وقد وجد المنصرون ضالتهم عندما

عاشوا أمام شعوب مقهورة الإرادة ظالمة ومنزوعة الثقة بنفسها لعهود طويلة مردها الاستبداد والتسلط التي تتعارض مع أحكام الشرع الحنيف، فاستغلوا ثرواتنا التي حباها الله تعالى لنا، ونتيجة لتلك الأسباب والعلل عجز المسلمون عن مواجهة تحديات الأمس واليوم. فإذا تأملنا في هذا المشهد العريض في ظل غياب القيم الدينية والاجتماعية، فإننا نعيش اليوم حالة مأساوية نفتقد الأسس السليمة في التربية والتوجيه والارشاد. لذلك نجد أن كثيراً من هذه العلل من صنع أيدينا، تحديات تعوق كل حركة النهوض الحضاري بكل جوانبها مما سبب في إضعاف الأمة وإعاقة مسيرتها، والتأثير في قدراتها الروحية والمادية، فالتعامل مع الظواهر السالبة كالتطرف والغلو والإلحاد على اعتبار أنها حق من حقوق الإنسان، الأمر الذي أفقد الجميع حلاوة السلم والسلام والتعايش السلمي، فأصبح العالم الأفرو عربية مثقل بالأعباء ومشكلات وأزمات لا نجد لها ما يبررها، مما جعل الكثيرون يدفعون ثمن المواجهة غير المتكافئة مع العالم الغربي التي تعيش حالة من الهستيريا الاستلابية على المستوى الفكري والثقافي، وهي علل مستشرية على نطاق واسع من عالمنا المعاصر، متجذرة في النفوس والعقول، لأن النفوس والعقول خرجت عن دائرة الوسطية والاعتدال.

التوصيات

1. نشر ثقافة بناء القيم الدينية والأخلاقية في المجتمع.
2. التغلب على الصراعات الدينية والطائفية.
3. الحد من الهجرة غير الشرعية.
4. تفعيل الخطاب الديني والإعلامي من خلال وسائط التواصل والاتصال.
5. الاهتمام بتربية النشئ.

المراجع

1. آبادي، الفيروز (1419هـ). القاموس المحيط. دار الجبل، بيروت، ط1.
2. إبراهيم، عبد الستار (1980). العلاج النفسي الحديث قوة للإنسان. عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط2.
3. ابن حنبل، أحمد (1999م). المسند. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2.
4. ابن دريد، محمد (بدون تاريخ). جمهرة اللغة. درا الأندلس، الإسكندرية. www. Al warraq. Com
5. ابن عربي (1989م). أحكام القرآن. دار الفكر العربي، بيروت، ط2.
6. ابن فارس، أحمد بن زكريا (1411هـ). معجم مقاييس اللغة. تحقيق عبدالسلام هارون. دار الجبل، بيروت، ط1.
7. ابن منظور، محمد بن مكرم (1958م). لسان العرب. دار الجبل، القاهرة، ط1 ج 12.
8. أبو داود، سليمان الأشعث (1414هـ). سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب حسن الخلق، دار الفكر، بيروت، ط2.
9. أبو شهبة، هناء يحيى (2007). السنة النبوية وتوجيه المسلم إلى الصحة النفسية. جامعة اليرموك: مؤتمر السنة النبوية والدراسات المعاصرة. الأردن، ط3.
10. الجسماني، عبد العلي (1996م). علم النفس القرآني والتهذيب الوجداني. دار الأندلس الإسكندرية، ط1.
11. الحديبي، مصطفى عبد المحسن (2010). أهمية الإرشاد النفسي الديني والحاجة إليه وتطبيقاته لأحد الاضطرابات النفسية. وحدة الأبحاث النفسية والاجتماعية. كلية التربية - جامعة أسيوط، ط1.
12. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (1995م). مختار الصحاح. تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط2.
13. رشاد، عبد العزيز (1996م). علم النفس الديني. مؤسسة مختار للنشر القاهرة، ط1.
14. الزاوي، الطاهر أحمد (1981م). مختار القاموس. الدار العربية للكتب القاهرة، ط1.
15. شاذلي، عبد الحميد محمد (1999). الصحة النفسية وسيكولوجية الشخصية. المكتب العلمي للكمبيوتر والنشر والتوزيع. الإسكندرية، ط2.
16. الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى (1982م). الاعتصام. دار المعرفة، بيروت، ط2.

17. الشرفاوي، محمد حسن (1984م). نحو علم نفس إسلامي. دار الشروق القاهرة، ط1.
18. شلبي، أحمد (1997م). الإسلام. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1.
19. شلتوت (1998م). الإسلام عقيدة وشريعة. دار الشروق، بيروت، ط1.
20. عبدالكريم، لكان (بدون تاريخ). مقدمة في وسائل الاتصال. مكتبة دار زهران، جدة، ط1.
21. عفيفي، محمد الهادي (1972) في أصول التربية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.
22. عماد الدين محمد (1989م). الشخصية والعلاج النفسي. مكتبة النهضة العربية القاهرة، ط1.
23. مسلم بن الحجاج بن مسلم (بدون تاريخ). صحيح مسلم. كتاب الذكر والدعاء والتوبة. دار الجيل، بيروت، ط3.
24. يالجن، مقداد (1986م). جوانب التربية الإسلامية، دار الريحاني للطباعة والنشر، بيروت، ط1.
25. **Martin**, J. E., & **Carlson**, C. R. (1988). Spiritual dimension of health psychology. Newbury Park, CA: Sage Publication.
26. **Smith**, C. (2003). Religious Participation and Network Closure Among American Adolescent. website: <http://onlinelibrary.wiley.com>. 20/11/2011.